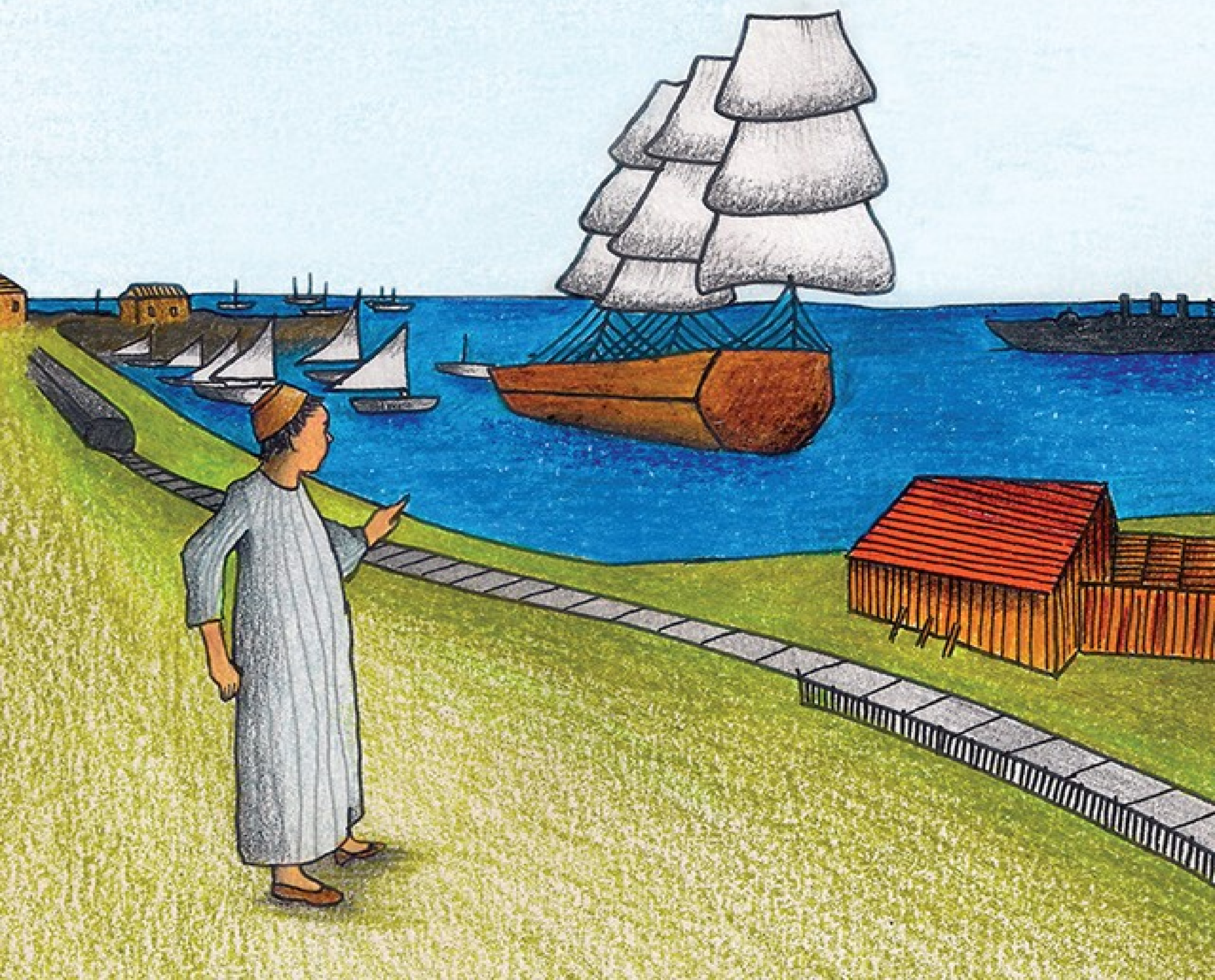
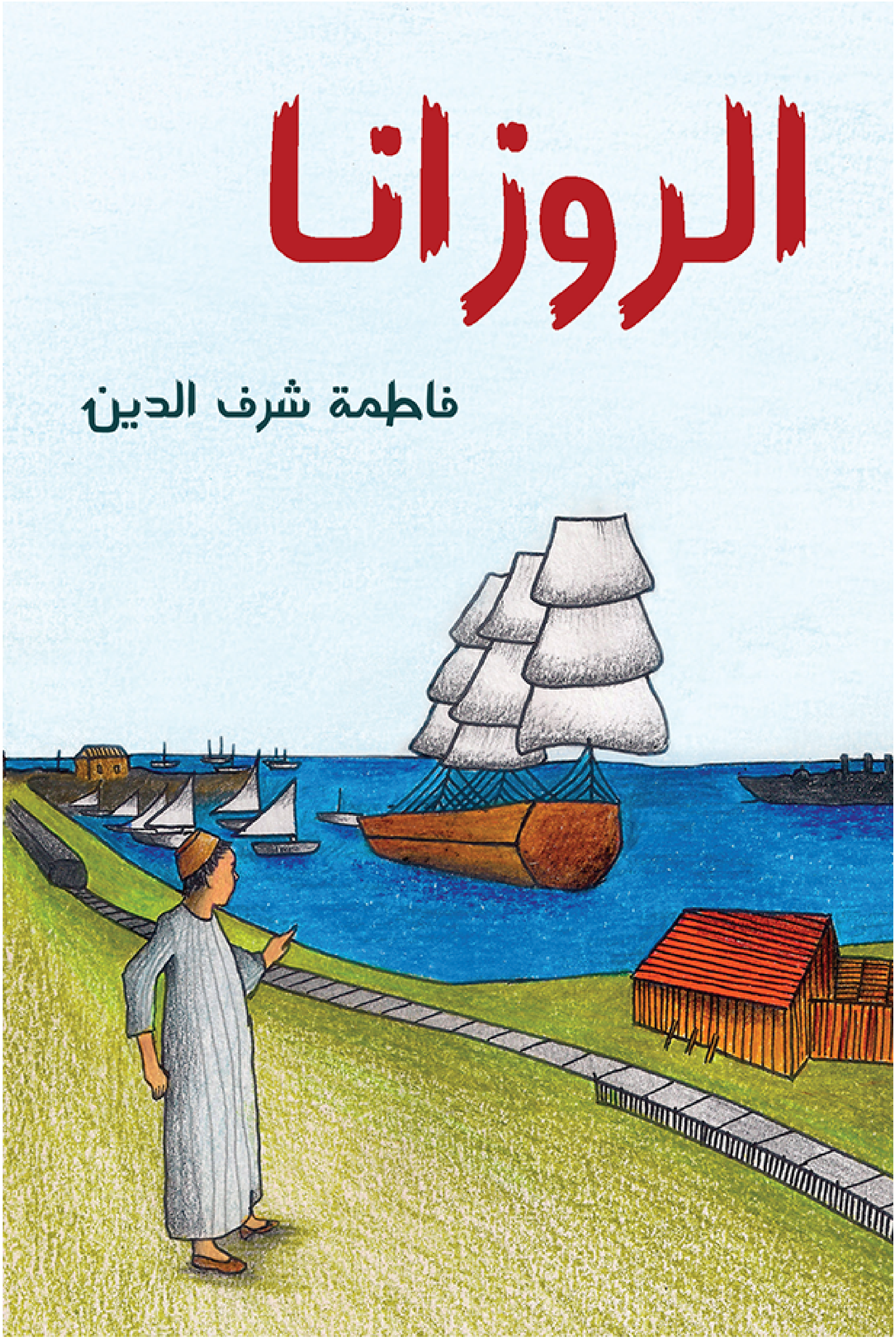
الروزانا

فاطمة شرف الدين



الروزانا

فاطمة شرف الدين



الروزانا

فاطمة شرف الدين كاتبة ومترجمة لأدب الأطفال والناشئة، نُشر لها حتى اليوم أكثر من 120 كتاباً. هي حائزة عدّة جوائز ولوائح شرف عربيّة وعالميّة، آخرها جائزة بولونيا (Bologna Ragazzi New Horizon Award) لكتاب **لسانك حصانك**. تُنشَر كتبها في لبنان والإمارات ومصر وبلجيكا، وقد تُرجم بعضها إلى سبع عشرة لغة أوروبيّة وآسيويّة. تشارك في معارض كتب ومؤتمرات عربيّة وأوروبيّة عن أدب الطفل، كما تعطي ورش عمل للكتابة الإبداعيّة المتخصّصة بالأطفال والناشئة.

المزيد من المعلومات متوافر على صفحتها في الإنترنت:

www.fatimasharafeddine.com

جنى طرابلسي مصمّمة ورسّامة لبنانيّة، تمارس التعليم منذ اثني عشر عاماً. ترسم لعدد من الصحف والمجلات بالإضافة إلى كتب الأطفال والقصص المصوَّرة. نُشر لها عشرة كتب.

يمكن مشاهدة بعض أعمالها على الرابط التالي:

ayloul.blogspot.com

فاطمة شرف الدين

الروزانا

الساقي

الطبعة الورقية الأولى، ٢٠١٧

الطبعة الإلكترونية، ٢٠١٧

ISBN-978-614-03-0113-9

دار الساقي
بناية النور، شارع العويني، فردان، بيروت. ص.ب.: ٥٣٤٢/١١٣.
الرمز البريدي: ٦١١٤ - ٢٠٣٣
هاتف: ٨٦٦٤٤٢ ١ ٩٦١، فاكس: ٨٦٦٤٤٣ ١ ٩٦١

e-mail: info@daralsaqi.com
يمكنكم شراء كتبنا عبر موقعنا الإلكتروني

www.daralsaqi.com
تابعونا على

@DarAlSaqi

دار الساقي

Dar Al Saqi

مقدمة

تردّدتْ عبرَ السنين عدّة صيَغ لقصّة الأغنية الشعبيّة **الروزانا**. لا نعرفُ أيٌّ منها هي الأقربُ إلى الحقيقة. لكن ذلك لا يهمّ... فهذه حالُ معظمِ القصصِ والأغاني الشعبيّة.

يقدّم هذا الكتابُ المصوّر إحدى صيَغ القصّة وراء الأغنية، حيثُ حاولتُ الإمساكَ بأطرافِ حبالٍ من كلّ الصيَغ الأخرى الموجودة.

فاطمة شرف الدين

رامز ليس وحَده، بل بجانبِه عزيز، أعزُّ رفيقٍ لديه.

هما ليسا وحدَهما، بل بين عشراتِ الفتيانِ، يجلِسانِ على الشاطئ، على رمالِه الذهبيّةِ الساخِنة، يُراقبانِ اقترابَها من الأُفقِ البعيدِ.

هم ليسوا وحدَهم، فالبحّارة من حولِهم، والجنودُ الأتراكُ موزّعون على الشاطئ من حول الجميع، مُستعدّون للتصدّي لأيّ شغبٍ عند وصولِها.

عمْر رامز 14 سنة ومدينتُه بيروت. أبوه عتّالٌ، وعمُّه عتّالٌ، وأعزُّ رفيقٍ لديه عتّالٌ. وهو؟ أيضًا عتّالٌ.

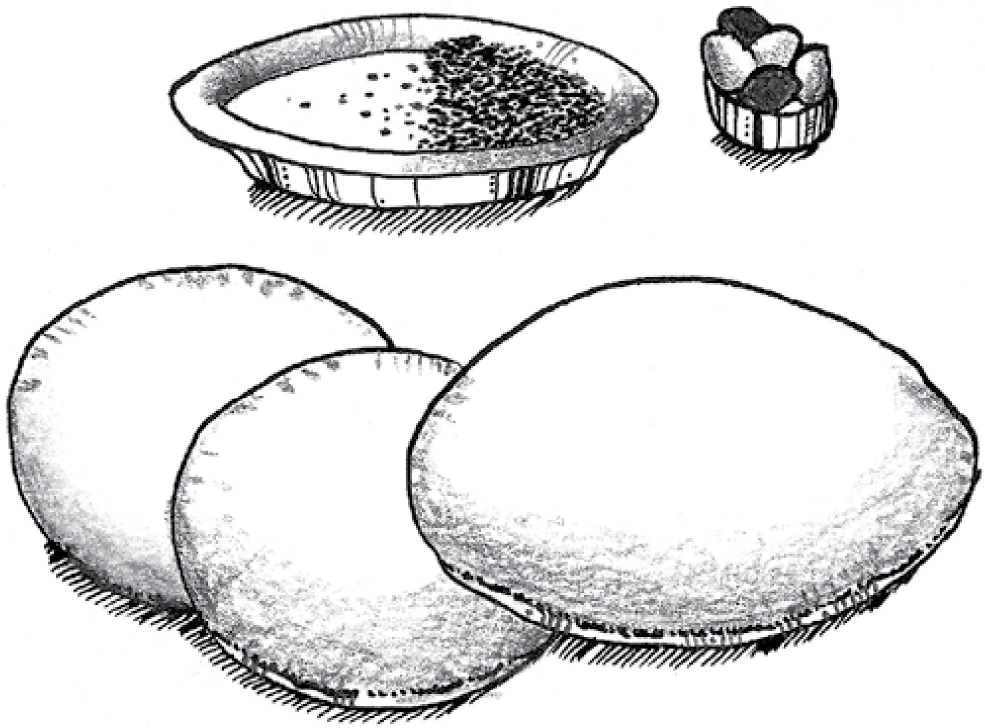


اليومَ كلّهم أملٌ. هم في انتظارِها. في انتظارِ السفينةِ الآتيةِ إليهم بالقمح من إيطاليا. إنّهم جياعٌ وقُواهم خائرةٌ بِسببِ المجاعة في البِلاد.

هل سيَسمَحُ لهم جنودُ الاحتلالِ بإفراغِ القمحِ الذي تحمِلُه إليهم؟

في العادة، قبلَ بَدء الحربِ، كان رامز وعزيز، ما إن تصلُ سفينة شحنٍ إلى شواطئ الميناء حتّى يتسابقا مع بقيّة الفتيان لنقلِ حمولتِها إلى المستودَعاتِ القريبة. فكلّما حمَلا دُفُعاتٍ أكثرَ، كانَ الأجرُ أعلى.

يتخيَّلُ رامز رغيفَ خبزٍ طازجٍ خارجًا من فرنِ الحطَبِ في حيّه، يتنشَّقُ رائحتَه الطيّبةَ وهو مُغمَضُ العينين... يبتَلِعُ ريقَه. هل سيأكلُه مع الزيتونِ أم مع الصعترِ؟ ربّما الاثنين معًا. يبتسمُ. يراهُ عزيز فيبتَسِمُ هو الآخر. هل يتخيَّلُ رائحة الرغيفِ أيضًا؟

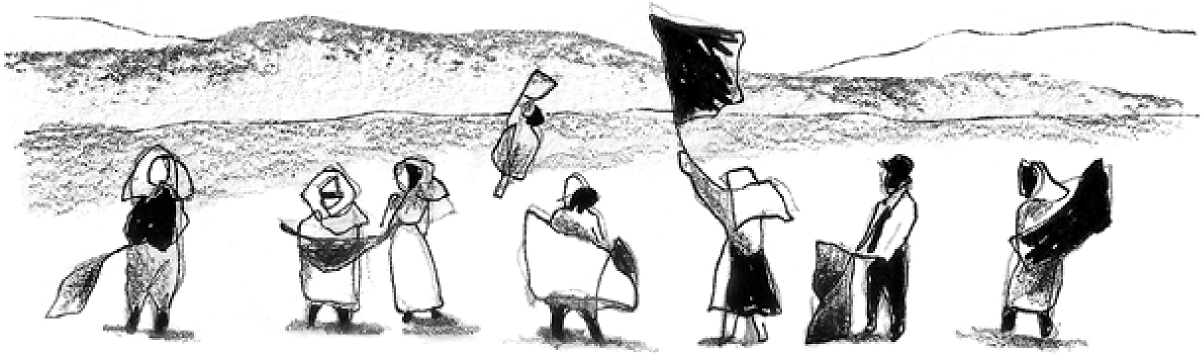


منذ ابتداءِ الحربِ العالميّةِ والعثمانيّون يَحرِمون البلادَ القمحَ والحُبوبَ؛ هم يجمعون محاصيلَ المزارعِ ويوزّعونها على جيشِهم.

"لم يجِدوا إلّا القمحَ ليَحرمونا إيّاه؟"، يسمعُ رامز أحدَ البحّارة يقولُ بصوتٍ هامسٍ كي لا يسمعَه الجنودُ.

"القمحُ لا يَتلَفُ كالفاكهةِ والخضارِ حين ينقلونَه لمسافاتٍ طويلةٍ"، يردُّ آخرُ.

لم يكتفِ الأتراكُ بأخذِ المحاصيلِ، بل إنّهم يُرغمونَ الشبّان على الالتحاقِ بالتجْنيد الإجباريّ، أمرٌ يسبِّبُ نقصًا كبيرًا في اليدِ العامِلة الزراعيّةِ؛ وما يزيدُ الوضعَ سوءًا هو الجفافُ الذي عمّ البلادَ وضربَ أكثرَ المحاصيلِ، والجرادُ الذي غَزا البساتين وأكلَ الأخضرَ واليابِسَ.





لم ينجُ من الجرادِ غيرُ التفّاح والعِنب في الجِبال؛ هذه الفاكهة مُكدَّسة عند المزارعين والتجّار، ولا سبيلَ لتصديرِها إلى الخارج. ذلك ممنوعٌ، والجبلُ مُحاصَرٌ.

سكّانُ بيروتَ يُعانونَ من الجوعِ ككلّ أهلِ البلادِ. لا قمحَ أو أرزَّ أو أيَّ نوعٍ من أنواعِ الحُبوبِ.

اليومَ كلّهم أملٌ. هم ينتظرونَ وصولَ السفينة، أمرٌ يتحدّثُ عنه الكبار من حول رامز منذ مدّة. كلّهم في انتظارِ القمحِ الذي سيأتي بحرًا. الفضلُ يعود إلى تجّار بيروت الذين كانوا قد اجتمعوا واتّفقوا على استيرادِ القمحِ من إيطاليا.



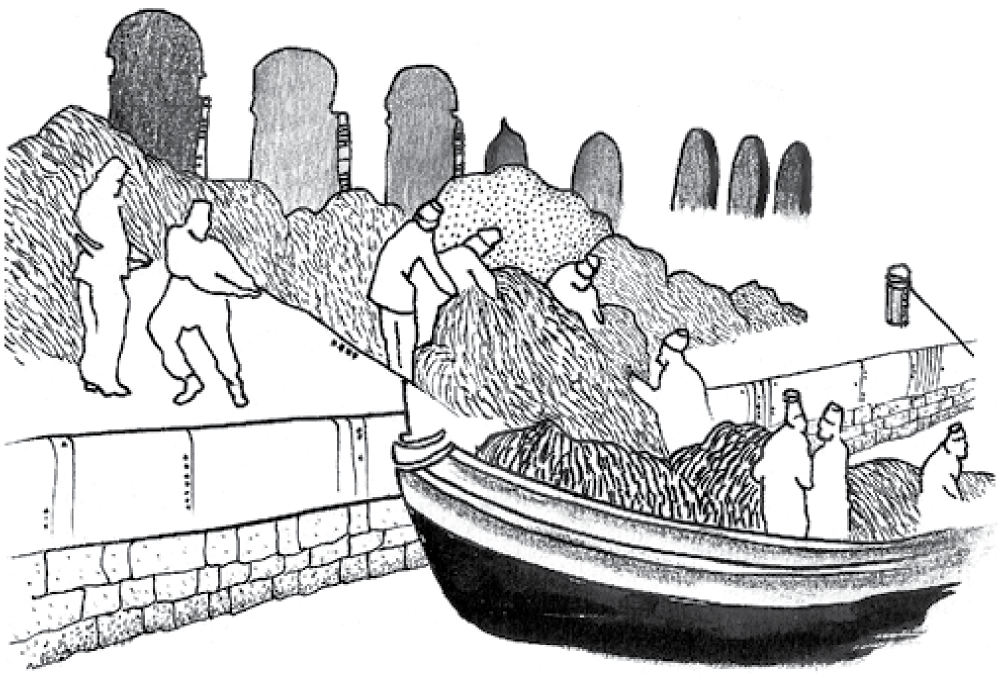
يسمعُ رامز وعزيز بعضَ البحّارة يتهامسونَ عن مخطّطِ التجّار، وهو أن يُنقَلَ بعضُ القمحِ، الذي سيصلُ اليومَ، سرًّا إلى جبلِ لبنان وكلّ المناطق اللبنانيّة الداخليّة، مقابِلَ أن يُسرَّبَ التفّاحُ المكدَّسُ في

الجبالِ إلى المدُنِ الساحليّةِ.

ها هي تقتربُ. صارَتْ أقربَ إليْهم منها إلى الأفقِ الأزرقِ.

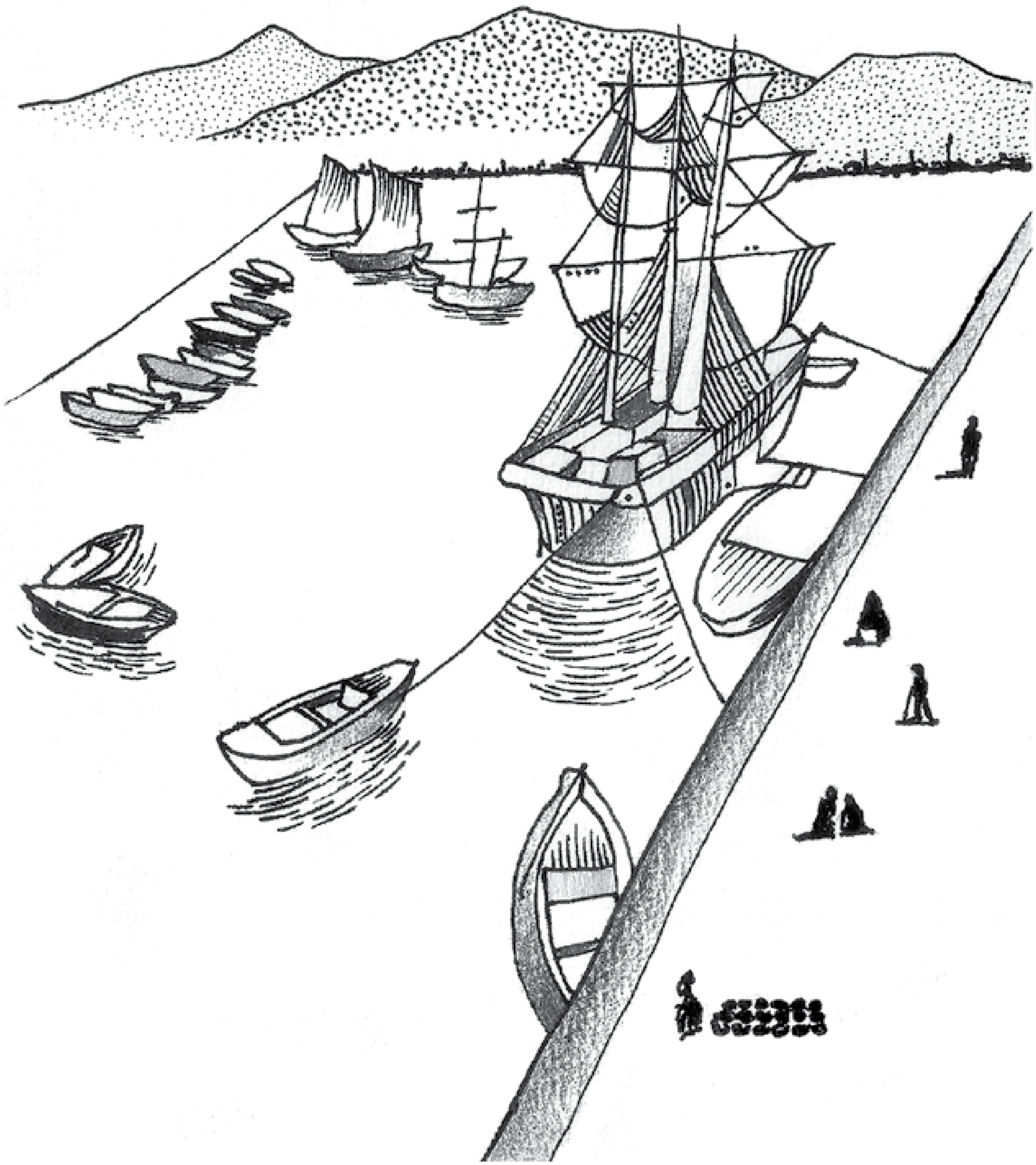
تقتربُ... تشرئبُّ أعناقُ الفِتيان على الشاطِئ. تقتربُ أكثرَ...

لا يتَمالَكُ رامز نفسَه. يُمسِكُ بِيد عزيز، يسحبُه منها، ويبدَأ الاثنانِ بالقفزِ في مكانِهما من الفرحةِ. يبدو الآن اسمُها واضحًا: **روزانا**.



تصِلُ **الروزانا** وترسو في الميناء، فيجْري كلُّ الفتيان للبَدء بتحميلِ القمحِ. وأخيرًا سيصنَعونَ الخبزَ ويسُدّون جوعَهم بالكثيرِ منه.

لكنّ حماسةَ رامز ورفاقِهِ سرعان ما تنطفئ. خيبةٌ كُبرى تُصيبُ الجميعَ وهم يرونَ حمولةَ **الروزانا**: تفّاح بدلَ القمح!



سوف يعرفونَ لاحقًا أنّ القمحَ قد أوصِلَ إلى حلفاء الأتراك على الشواطئ الشامِيّة واستُبدِلَ بالتفّاح.

''لا حاجة لنا إلى التفّاح!''، يحتجُّ أحدُ البَحّارة.

''عندنا الكثيرُ منه، وكثرتُه في الأسواق تجعلُ سِعَره رَخيصًا جدًّا''، يقولُ آخرُ.

''سوف يَفسَدُ التفّاحُ المكوّمُ إنِ استمرّوا في منعِه منَ الخروجِ من لبنان''، يُضيف ثالثٌ.

دونَ حماسةٍ، يُحمِّل رامز وعزيز ورفاقُهما العتّالون صناديقَ التفّاح عن متنِ **الروزانا**، وينقلونَها خاضِعين لأوامِر التجّار إلى مستودعاتٍ قريبةٍ.

لا يمرّ يومان على هذا الحدثِ حتّى تبدأ شائعاتٌ تَسري بين الكبار من حولِ رامز، فيتناقلُها هو مع رفاقِه، همسًا أيضًا.

''هل سمعتَ أخبارَ القمحِ الآتي إلينا؟''، يقول رامز لعزيز.

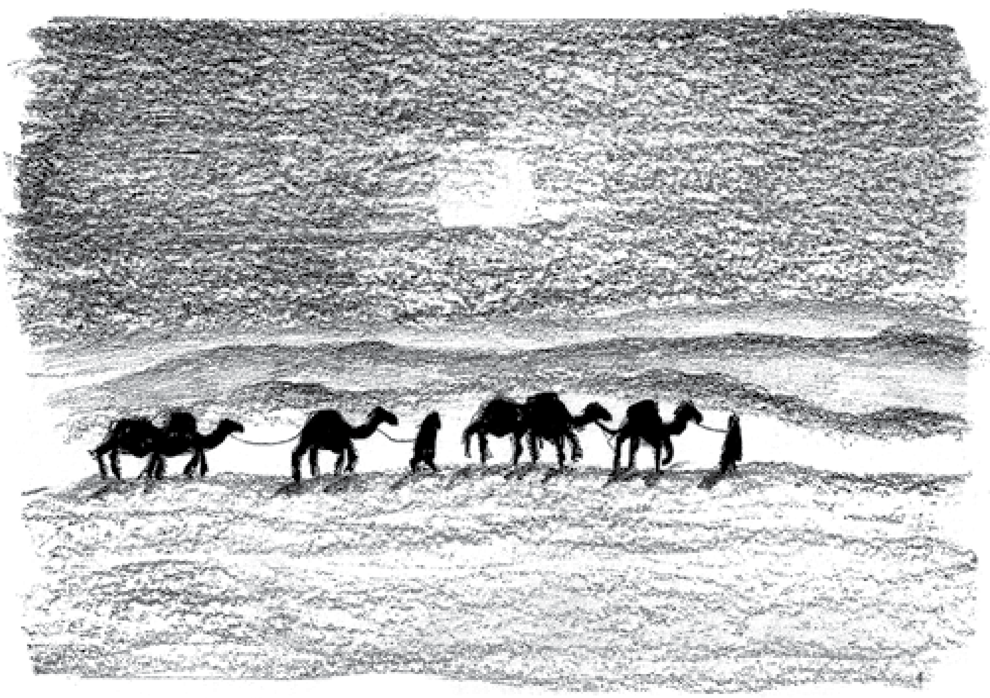
''أكيد سمعتُ. سيأتي من حلب.''

''ششش، اخفضْ صوتَكَ، قد يسمعُكَ الجنديّ الواقفُ هناك.''

وبالفعلِ، يقرِّرُ أهالي حلب مساعدة لبنان في محنتِه هذه.

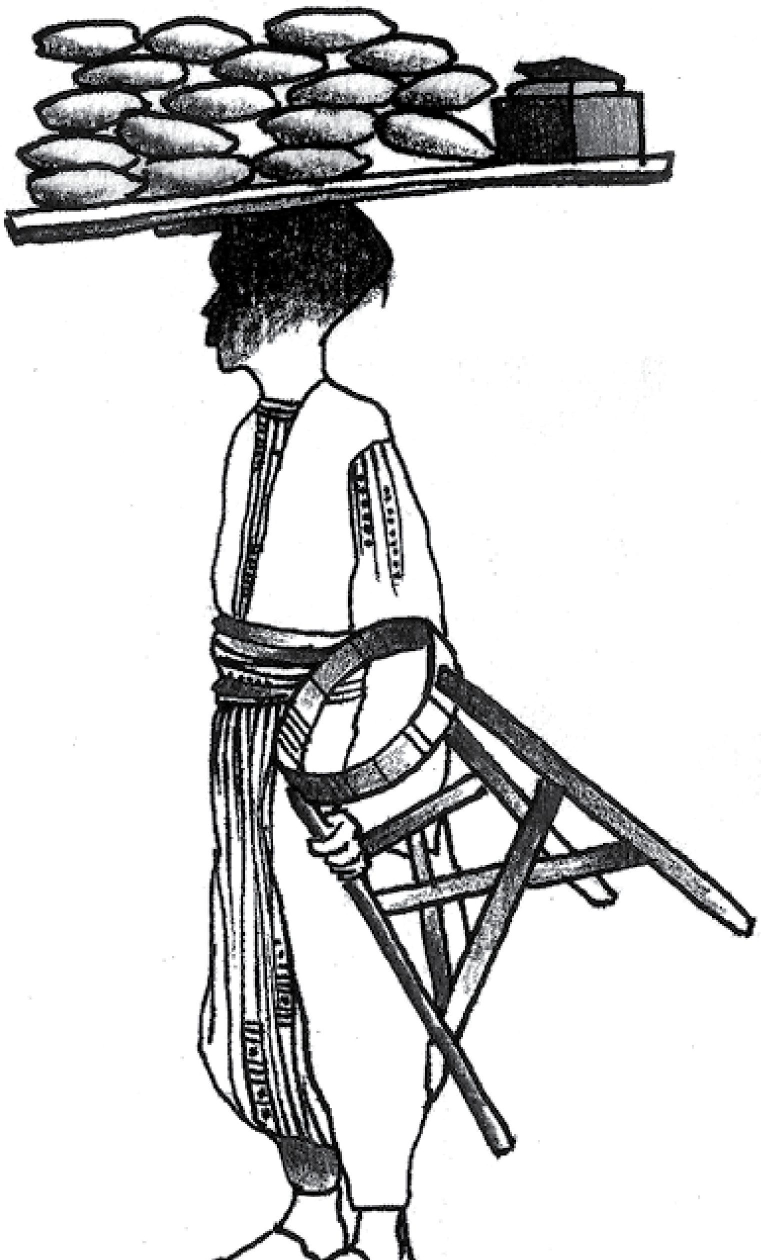
بعد اجتماعاتٍ سرّيةٍ بين تجّار بيروت وتجّار حلب، يتّفِقون على أن يهرِّبوا القمحَ من حلب إلى لبنان، ومقابِلَ ذلك سيُسرَّبُ التفّاحُ اللبنانيّ المكدَّسُ في المستودعاتِ إلى حلب قبل أن يتلفَ.

وفي ليلة مُعْتِمة ليس فيها ضوءُ قمر، تصلُ قافلةُ الجِمالِ المحمَّلةُ بالقمحِ من حلب. معظم العتّالين يخافون الاقترابَ والعملَ على إفراغِ الحمولةِ؛ قد يَراهم جنديّ عثمانيّ ويقبضُ عليهم. أمّا رامز، فلا يتردّد. هو متحمِّسٌ للمساعدة مهما كلّفَ الأمرُ، ولو من دون أجرٍ. الناسُ جِياعٌ وعليهِ المساعدةُ في إيصالِ القمحِ إليهم.



يُفرغونَ الحمولةَ بعيدًا عن أنظارِ الجنود، وتُحمَّلُ الجمال مباشرةً بصناديقِ التفّاح التي أُخرِجتْ سرًّا من الجبل، والتي ساعد رامز وعزيز في نقلِها مسبقًا إلى المخزن السرّي المتَّفَقِ عليه. وكيْ لا يَرى الجنود التفّاحَ يعبرُ الحدودَ بين لبنان وسوريا، يغطّونَه بصناديقِ العنبِ.

قبلَ طُلوع الفجرِ، يُوزَّعُ القمحُ ليُدرَسَ ويتحوَّلَ إلى طحين، ومن بعدها إلى خبز.



وقبل غيابِ الشمسِ في اليوم التالي، تعبرُ قافلةُ الجِمال الحدودَ وتصلُ إلى حلب سالمةً.

حين يرى رامز الخبزَ يوزَّعُ على الأُسَرِ، وبعدها، حين يرى الأطفالَ والكبارَ يعودون إلى نشاطِهم اليوميّ، يشعرُ بالفخر لأنَّه ساعد، حتّى لو قليلًا، في إيصالِ القمح إليهم.



بعد أيّامٍ على تلك الحادِثة، وبينما يسهرُ رامز وعزيز مع مجموعةٍ شبّان وشابّات، وبعد الأكلِ والدردشة، يبدأ الحاضرون بالغناءِ. أكثرُ أغنيةٍ يردّدونها هي أغنيةٌ جديدةٌ، يُقالُ أنّ إحدى الصبايا ألّفتْها لحبيبها الذي ذهبَ مع قافلة التفّاح والعنب إلى حلب:

عالروزانا عالروزانا

كلّ الحلى فيها

شو عملت الروزانا

الله يجازيها
عالروزانا عالروزانا
كلّ الهنا فيها
شو عملت الروزانا
الله يجازيها
يا رايحين لحلب
حبّي معاكم راح
يا محمّلين العنب
تحت العنب تفّاح
كلّ من حبيبه معه
وأنا حبيبي راح
يا ربّي نسمة هوى
تردّ الولف ليا

إلى يومِنا هذا، كلّنا في لبنان وحلب نتذكَّرُ قصّةَ **الروزانا** بفضلِ هذه الأغنية الشعبيّة التي تحملُ اسمَها.

حول الكتاب

نبذة عن الكتاب

ها هي تقترب... تقترب، تشرئبُّ أعناق الصبيَة على الشاطِئ. تقترب أكثرَ... هي الروزانا.

ما هي قصة الأغنية الشعبية البيروتية – الحلبية «الروزانا»؟

نسمع أنها مرتبطة بسفينة تحمل الاسم نفسه أُرسلت من إيطاليا إلى بيروت خلال الحرب العالمية الأولى.

كان يُفترض أن تحمل السفينة القمح لحلّ أزمة المجاعة في البلاد، لكنّ الأمل خاب..

نبذة عن المؤلف

فاطمة شرف الدين كاتبة ومترجمة لأدب الأطفال والناشئة، نُشر لها حتى اليوم أكثر من 120 كتاب.

هي حائزة على عدة جوائز ولوائح شرف عربية وعالمية، آخرها جائزة بولونيا (BolognaRagazziNewHorizonAward) لكتاب لسانك حصانك.

تُنشَر كتبها في لبنان والإمارات ومصر وبلجيكا، وقد تُرجم بعضها إلى سبع عشرة لغة أوروبية وآسيوية. تشارك في عدة معارض كتب ومؤتمرات عربية وأوروبية عن أدب الطفل، كما تعطي ورش عمل للكتابة الإبداعية المتخصصة بالأطفال والناشئة.

المزيد من المعلومات متوفر على صفحتها في الإنترنت : www.fatimasharafeddine.com

جنى طرابلسي مصمّمة ورسّامة لبنانية، وتمارس التعليم منذ خمسة عشر عاماً.

ترسم لمجموعة من الصحف والمجلات بالإضافة إلى كتب الأطفال والقصص المصوَّرة.

نُشر لها عشرة كتب.

يمكن مشاهدة بعض أعمالها على الرابط التالي: ayloul.blogspot.com